

قراءات سياسية

دور مراكز الدراسات والأبحاث في صناعة القرار الولايات المتحدة الأمريكية نموذجاً

من بين الأطراف المؤثرة في تركيبة السياسة الخارجية الأمريكية، يعد دور مراكز الأبحاث الأهم والأكثر فعالية، حيث رسمت هذه المراكز سياسات التدخل الأمريكي في الخارج طوال المائة عام المنصرمة¹.
ريتشارد هاس، مدير السياسات والتخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية سابقاً، مدير مجلس العلاقات الخارجية حالياً.

تعد أمريكا مهد المجتمع الأكثر ضجيجاً بالنقاش السياسي، حيث يعلو ضجيج الآراء المتناقضة والمختلفة حول كيفية إدارة شؤون البلاد².
جايمس ماكغان، مدير معهد أبحاث السياسة الخارجية، ومؤلف كتابي "مراكز الأبحاث والمجتمع المدني" و"مراكز الأبحاث، السياسات، والسياسات العامة".

بفعل تعدد قضايا القرار السياسي وتشعب مهام الدولة الحديثة، وخصوصاً الدول التي تمتلك سياسة خارجية فاعلة، وتعتبر نفسها معنية بشكل جاد بما يحصل خارج حدودها بحيث تؤثر وتتأثر فيه.. فقد لجأت تلك الدول إلى إتاحة المجال لمراكز الدراسات والأبحاث برفدها بالتحليلات والاستشارات والتوصيات التي تمثل نتيجة عمل الخبراء في الميادين المختلفة الواقعة محل اهتمام القيادة، بحيث تحول بعض تلك المراكز في بعض الفترات إلى وزارة خارجية في الظل، تمارس دوراً وتأثيراً كبيرين. ويعتبر ريتشارد هاس أن "مراكز الدراسات تقوم بسد الفجوة بين النطاق الأكاديمي من جهة، وبين مؤسسات الحكومة من جهة أخرى. ففي الجامعات يتم القيام بالأبحاث بخلفية نظرية ومنهجية بعيداً عن المشكلات السياسية اليومية. أما في داخل الأجهزة الحكومية، يغرق الموظفون في المتطلبات اليومية لصناعة السياسات، بما يصعب عليهم العودة خطوة إلى الوراء للأخذ بعين الاعتبار المشهد الواسع للسياسة الأمريكية. فتقوم المراكز بدور سد الفجوة بين الفكر والتطبيق"³، ويؤكد على أن "الأفكار المطروحة من قبل مراكز الدراسات تقوم بدور بناء مفاهيم جديدة للمصالح الأمريكية القومية، التأثير في ترتيب الأولويات، توفير خرائط الطريق اللازمة لتنفيذ السياسات، تحريك التحالفات السياسية والبيروقراطية، وبناء تصميم جديد للمؤسسات المتهاوية"⁴. ويحاول هاس رسم تحديد دقيق لوظائف مراكز الدراسات في الولايات المتحدة الأمريكية فيلخصها في خمس أساسية :

¹ Hass, Richard / **Think Tanks and U.S. Foreign Policy : An Policy-Makers Perspective** / U.S. State Dep. / Nov. 2002 / p5.

² McGann, James / **Development of Think Tanks and its Role** / State Dep. / Feb. 28, 2006.

³ Hass.. p5.

⁴ Hass.. p6.

1. تنشر الأفكار وأنماط التفكير الجديدة بين صانعي السياسات.
2. توفر الخبراء للعمل في الأجهزة الحكومية والكونغرس.
3. تفعل الحوار السياسي بين صانعي السياسات.
4. تتقف الشعب الأمريكي حول ما يحصل في العالم الخارجي.
5. توفر إتجاهاً ثالثاً بين الحزبين المتنافسين⁵.

ولا بد من الإشارة إلى أن المراكز البحثية في الولايات المتحدة الأمريكية تتمتع بخصائص مميزة عن مثيلاتها في العالم، فعلى صعيد الحجم "يوجد في الولايات المتحدة 2000 منظمة منخرطة في عمليات التحليل السياسي مقابل 2500 منظمة مماثلة في العالم ككل"⁶، أما على صعيد التأثير فيشير أبلسون إلى أنه و"في حين أصبحت مراكز الدراسات ظاهرة عالمية في السنوات الأخيرة، غير أن مراكز الدراسات الأمريكية تتميز عن مثيلاتها في الدول الأخرى بقدرتها على المشاركة بشكل مباشر وغير مباشر في صناعة السياسات، ويتوجه صانعي السياسات الأمريكية نحو تلك المراكز لاستشارتها في مختلف القضايا"⁷، وأما في ما يخص العلاقات البنوية بين مراكز الدراسات والأجهزة الحكومية فيعتبر هاس أن "الباب الدوار بين المراكز البحثية والمؤسسات الحكومية والذي يتيح تبادل الخبرات والخبراء بينهما، فهو يعد خاصية مميزة للسياسة الأمريكية وأحد مصادر قوتها. ففي البلاد الأخرى نجد فصلاً حاداً بين الموظفين الحكوميين وبين الخللين المستقلين، لكن ذلك غير موجود في الولايات المتحدة"⁸، أما على صعيد التمويل فيقول أبلسون : "بعيداً عن نموذج المنظمات المختلفة، لا يتم تقييم نجاح مراكز الدراسات عبر إنتاجها المالي، بل بمقدار تأثيرها في صناعة السياسات والرأي العام"⁹، ويضيف مفصلاً : "من بين الـ 2000 مركز في الولايات المتحدة الأمريكية، هناك 25% بالمئة منها فقط تعتبر مستقلة وحررة"¹⁰.

أما الأسباب البنوية لتنامي تلك الظاهرة بشكل لا نظير له في الولايات المتحدة فيحاول أبلسون حصرها في ثلاثة أسباب قانلاً : "إن اللاتمركز العالي الكثافة في النظام السياسي الأمريكي، مضافاً إلى فقدان الإنتماء الملزم إلى الأحزاب السياسية، وتوفر التمويل الهائل من قبل المؤسسات الرعائية، كل ذلك قد تقاطع لإنتاج هذه الشبكة المترامية من مراكز الدراسات في الربع القرن الأخير"¹¹، ويشير أبلسون إلى أربعة أجيال تشكل المسار التاريخي لتشكيل شبكة مراكز الأبحاث الأمريكية، ويعرفها بالتالي :

1. الجيل الأول : مراكز الدراسات كمؤسسات سياسية بحثية.
2. الجيل الثاني : نشوء المراكز المتعاقدة مع الدولة.
3. الجيل الثالث : صعود نجم المراكز كمؤسسات تقدم الإستشارة.
4. الجيل الرابع : نشوء المراكز بفعل الإرث الفكري للشخصيات التاريخية في السياسة الأمريكية¹².

⁵ Hass.. p5.

⁶Abelson, Donald / **Think Tanks and U.S. Foreign Policy : An Historical Perspective** / U.S. State Dep. / Nov. 2002 / p9.

⁷ Abelson .. p9.

⁸ Hass.. p7.

⁹ Abelson .. p11.

¹⁰ Abelson .. p11.

¹¹ Abelson.. p9.

¹² Abelson .. p10.

وقد لجأت تلك المراكز، وسعيًا خلف توسيع مدى تأثيرها ليشمل النخب والرأي العام ووسائل الإعلام المعاصرة المختلفة والمتنوعة، إلى نشر جزء كبير من إنتاجها الفكري والسياسي، مع الإبقاء على جزء آخر تحت درجة السرية، قد يكشف لاحقاً. وبفضل ذلك المسار غدا لمراكز الدراسات دور كبير في بناء الرأي العام النخبوي وغير النخبوي وبالتالي شكلت قوة ضغط كبيرة وفعالة في توجيه القرار. ويعتبر هاس أن ثمة حاجة جوهرية لإندفاع تلك المؤسسات البحثية نحو الإعلام للاستفادة منه كطريق لتحقيق أكبر مجال ممكن للتأثير فيقول: "لم يكن من السهل جذب انتباه صانعي السياسات المشغولين دائماً والمغرقين أصلاً في سيل المعلومات. ولتخطي تلك العقبة احتاجت مراكز الدراسات إلى النفاذ في القنوات العديدة للإعلام والإعتماد على استراتيجيات تسويقية لطروحاتها من قبيل: نشر المقالات والكتب والأبحاث المتزامنة مع طرح القضايا، الظهور بشكل دوري على قنوات التلفزة، الكتابة في صفحات الرأي، والظهور في المقابلات الصحافية، وإنتاج أوراق بحثية سهلة القراءة وأوراق العمل، وإنشاء مواقع الإنترنت، وكذلك تقديم المحاضرات العلمية أمام لجان وأعضاء الكونغرس بما يشكل مدخلاً هاماً للتأثير في صناعة السياسات"¹³.

بنيوياً، تتشكل هذه المراكز بفعل سعي قوى الضغط وتجمعات المصالح نحو منهجة تأثيرها في السياسات الداخلية والخارجية للدولة، وتحصل هذه المراكز على دعم مالي من قبل الدولة بشكل منظم، ولا تستطيع هذه المراكز تحصيل تمويلها من خلال بيع منتجاتها إلا بشكل جزئي لا يكاد يذكر. ويشير البروفيسور في جامعة وسترن أونتاريو دونالد آبلسون إلى أنه و"بالرغم من بعض الفوارق الأساسية بين مراكز الدراسات وتجمعات المصالح فإن التمييز بين خصائص كل منهما قد أصبح غير مجدياً مع مرور الوقت"¹⁴.

إذن، مراكز الدراسات بنية مركبة من تقاطع حاجات المؤسسة البيروقراطية الرسمية مع مصالح القطاعات الاجتماعية والفكرية والاقتصادية والأيدولوجية في المجتمع، ولذلك فإن تقييم ما يصدر عنها يحتاج إلى مجموعة من المحددات التي تأخذ بعين الاعتبار ذلك التركيب، وكذلك ما يفرض نفسه من معايير بنيوية ترتبط بقدرات كل مركز على حدة.



¹³ Hass.. p6.

¹⁴ Abelson .. p11.